سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ٢٩

من أوصاف النار (٢)

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقدَّم في المقالة السابقة العديد من صنوف عذاب النار، وشرح ما اشتملت عليه من الأهوال الشديدة، والعقوبات الأليمة، وفي هذه المقالة بيان أنواع أخرى من عذاب أهل النار، فأقول وبالله التوفيق:

إنَّ مما أُعِدَّ لأهل النار ذلكم الطعام الأثيم الذي تُملأ منه بطونهم، وتُغص حلوقهم، ويتجلَّى هذا في تلك الشجرة العظيمة التي أصلها أشر الأصول وأسوؤها، فهي ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤]، ومنظرها من أقبح المناظر وأشنعها فـ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، إنها شجرة الزقوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦]، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد دل القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ منها بطونهم، فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم وهو الماء الذي انتهى حرُّه، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم»[1].

والهيم: قيل: هي الإبل العطاش، وقيل: داء يأخذ الإبل فلا تَروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، وقال تعالى أيضاً في شأن هذه الشجرة: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٦ - ٦٨]،

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودل قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ على أن الحميم يُشاب به ما في بطونهم من الزقوم، فيصير شوباً له» (١).

قال عطاء الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «يقال: يُخلط طعامهم ويُشاب بالحميم» (٢).

وعن صفة الطعام الذي يأكلونه ما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ [المزمل: ١٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «شوك يأخذ بالحَلْق، فلا يدخل ولا يخرج» (٣).

ومن طعامهم ما جاء في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الغِسْلين: الدم والماء يسيل من لحومهم» (٤). وقال أيضاً: «صديد أهل النار» (٥).

وأما شراب أهل النار فقد أخبرنا الله في كتابه بأربعة أنواع:

الأول: الحميم: الذي قد اشتدَّ حرُّه وبلغ غايته.

الثاني: الغسَّاق: وهو ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه.

قال تعالى في هذين الشرابَيْن: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]، وقال: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧].

الثالث: الصديد: قيل: إنه القَيْح والدم، قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

يُروى أنَّ قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ هذه الآية فقال لمن حوله:

«هل لكم بهذا يدان؟ أم لكم على هذا صبر؟ طاعة الله أهون عليكم يا قوم، فأطيعوا الله ورسوله» ().

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كل مُخَمَّرٍ خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكراً بُخِسَت صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقّاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال»، قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «صديد أهل النار» ().

الرابع: الماء الذي كالمهل، قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ فقال: «ماء غليظ مثل دُردي الزيت» ()، فهذا حالهم إذا طلبوا الشراب لإطفاء عطشهم؛ يغاثوا بهذا الماء الذي كالرصاص المذاب أو كعكر الزيت () من شدة حرارته.

وأما ثياب أهل النار التي يرتدونها، وكسوتهم التي يُكسون بها فأمر عجب، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، كان إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ هذه الآية يقول: «سبحان من خَلَق من النار ثياباً!» ().

يقول ﷺ: «مَن اكتسى برجل مسلم ثوباً، فإنَّ الله يكسوه مثله من جهنم» ().

ومما جاء في بيان صفة ثيابهم قول الله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]، والسرابيل هي: الثياب، والقطران هو: النحاس المذاب، قاله ابن عباس رضي الله عنهما).

وممن يلبس هذه الثياب في النار: النائحة التي تنوح على ميِّتها، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النائحة إذا لم تتُب قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب»)، هذا شأن ثيابهم.

وأما فرشهم فقد قال الله فيها: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١]، والمهاد هي: الفرش التي تكون تحتهم، والغواش هي: اللحف، قال ذلك غير واحد من المفسرين.

إنَّ من يتدبر القرآن يدرك تماماً أنَّ النار لا تترك أهلها أبداً، بل تغشاهم من جميع جوانبهم حتى تصل إلى أعضائهم فتحرقها، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٤]، وقال: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وليس هذا فحسب؛ بل مع غشيان النار لوجوههم فإنها تُقلَّب في النار كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٦]، وتكون وجوههم على أبشع ما يكون من السواد والظلمة كأنما حلَّت ظلمة الليل فيها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

فيا قارئ القرآن لا تسألْ عمَّا يصدر من أهل النار من الصراخ والعويل والبكاء -حين وصول العذاب إليهم-، ويسألون الله تعالى الخروج من النار، ويطلبون منه التخفيف، قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، لكن هيهات هيهات، فالعذاب مستمر لا ينقطع، فلا تخفيف يلحقهم، ولا رحمة من الله تدركهم، حتى يصلوا إلى حالٍ يتحققون معها أن لا مخرج لهم من عذاب الله، ولا مهرب لهم من ناره ويقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقد جاء في السُّنة ما يدل على أنَّ أهل النار لا يزالون في أمل من الخروج من النار حتى يُؤْتى بالموت فيُذبح بين الجنة والنار، وحينئذٍ تعظُم الحسرة، ويزداد الحزن، وينقطع الرجاء من مفارقة النار.

وبما تقدَّم من وصف النار -يا قارئ القرآن- تُدرَك فظاعة النار وعِظَم هولها، وكل هذا يدعو لسلوك سبل الوقاية منها، والاستعاذة بالله تعالى من عذابها، والاجتهاد في ملازمة كتاب الله دائماً؛ تلاوةً وتفكُّراً وتدبُّراً وتعلُّماً ودعوةً وتفقُّهاً، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، اللهم إنا نعوذ بالله من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل، أنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك.